أبواب

ABWAB

15

الديموقراطية كإيديولوجيا:
بين القهر والرضا

ياسين الحافظ
بعد انفجار الماركسية

أدونيس في "الكتاب" – 2 ،
ومعاني الحرب والعنف

سياسيات النساء،
وسيرة عراقية عن الخوف

هل كانت "ليلى" أسطورية،
وكيف يرسم محمد الرواس؟

دار الساقي

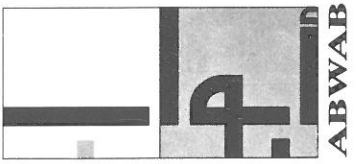

المحتويات

أفكار

إيليا حريق — الديموقراطية كإيديولوجيا: بين القهر والرضا ٩
علي الصرّاف — في مسألة الدين والدولة في الإسلام ٤٠
وضّاح شرارة — الساحرة لميشْليه أو سياسيات النساء ٥٦
شاهين ميرالي — الذكورية في الثقافة البصرية ٨٦
مايكل إغناتييف — آلهة الحرب (من خلال كتب ثلاثة عنها) ١٠٢

كتب

جورج طرابيشي — ياسين الحافظ بعد انفجار الماركسية ١١٦
أدونيس — الذكرى I ١٢٨

ثقافة

جاك الأسود — محمد الروّاس: توازيات زمنية ١٤١
علي الشوك — هل كانت «ليلى» شخصية أسطورية؟ ١٥٧
رضا الظاهر — فوكنر والسلطة البطريركية ١٦٧
عزّة شرارة بيضون — كيف يعلّمون؟ كيف يتعلّمون؟ ١٨٨

نصوص

فؤاد التكرلي — استدعاء ١٩٧
آمال السعدي — سيرة عراقية عن الخوف (ترقى إلى ١٩٦٣) ٢١١
ديما بولاد — طفولة تخيّم في العالم ٢٢٠

تربية

كيف يعلّمون؟ كيف يتعلّمون؟

عزّة شرارة بيضون

أكثر الناس لا يتمهّلون، ولو قليلاً، قبل أن يطلقوا أحكاماً سلبية على التعليم الرسمي اللبناني. وينال المدرسون فيه القسط الأوفر من تلك الأحكام. ويحمل هؤلاء الناس في جعبتهم نعوتاً يطلقونها، وقصصاً يتداولونها، تشخيصاً لتلك النعوت وأمثلة عليها. وهي تدور حول مواضيع منمّطة باتت معروفة: التمارض سعياً للتغيّب، غياب الاهتمام الفعلي بالطلاب والتعالي عليهم، استعمال العنف الكلامي وأحياناً الجسدي، قلة الكفاءة وغياب الضمير المهني... إلخ.

المقابلة التالية تحكي «رواية مضادة» وتكشف عن تجربة مضيئة في إحدى مدارسنا الرسمية هي «ثانوية رأس بيروت للبنات»، وتحديداً في الصف المتوسّط الأول (ب). وقد أجريناها مع أستاذة الصف للّغة العربية سلمى منيمنة إثر حضورنا لمعرض قامت به تحت إشرافها تلميذاتها اللواتي لا يتعدّى عمرهن الاثنتي عشرة سنة. وذلك لعرض ما يدل على أنشطة قمن بها، خلال السنة المدرسية من صور ووثائق مختلفة. وحيث توزّعت التلميذات فيما بينهن مهمّة تفسير أهداف هذه الأنشطة ومراحلها ونتائجها، وذلك بطلاقة وبلغة سليمة، شبه فصحى، لا نعهدها، في أيامنا هذه، حتى لأي الاختصاصيين!

*

سؤال: ما هي الرؤية التربوية التي تحكم الأنشطة المختلفة التي قامت بها تلميذاتك هذه السنة؟

جواب: لا نحمل نحن، معلمات ومعلمي اللغة العربية في التعليم الرسمي رؤية موحّدة لتدريس اللغة العربية. وما نلاحظه هو سيادة الطرق التقليدية والتي، برأيي، لم تعد مجدية. بالنسبة إليَّ، التعليم لا ينحصر بالكتاب والدفتر أو التلقين ومن ثمّ التسميع، بل هو بناء فكر وموقف وطريقة في الحياة. أنا أعتقد أن مهمّة التعليم ينبغي أن تكون شحذ حساسية التلميذ وتدريبه على البحث عن المعرفة، لا في الكتاب فحسب، وإنما بالتعوّد على المشاهدة والاستماع والتذوق واللمس؛ وصولاً إلى تحليل الأمور والتفكير حولها. أنا أرى أنه إذا لم تأخذ الأمور والأشياء شكلاً محسوساً لتلميذ في المرحلة الدراسية التي أدرّس تبقى خارج مخزونه المعرفي.

سؤال: تقولين إن الأنشطة التي تقوم بها تلميذاتك هي من ضمن المنهاج المدرسي. تؤكدين أنها أنشطة صفيّة وليست لا ـ صفية.

جواب: نعم. أنا أنطلق من المنهج، وفي نص كتاب القراءة العربية الذي نعتمد وفقاً لمقررات المركز التربوي للبحوث والإنماء. ففيه نجد، مثلاً، صور لوحات لفنانين محليين أو عالميين مذيّلة بتعريف سريع عنهم وعن أعمالهم. ولما كان الأولاد في هذا السن يحبون الألوان والأشكال انطلقنا منها لتحديد بعض أنشطتنا كما لاحظت في المعرض.

سؤال: ما هي هذه الأنشطة بالتحديد؟

جواب: توزعت أنشطة المتوسط الأول (ب) لهذا العام على الفصول الثلاثة بمعدّل نشاطين أو أكثر لكل فصل، هكذا:

١ ـ إقتناء كتاب ـ مكتبة مصغّرة

لا ننسى أن إقتناء كتاب غير مدرسي هو أمر غير شائع بين تلميذاتنا. ونحن نعتقد أن إقتناء كتاب شخصي هو أمر مهم ويجعله من مجال التلميذة الحيوي، تحافظ عليه تضعه قرب سريرها، تقرأ به قبل أن تنام... إلخ. هكذا توجّهنا إلى حث التلميذات على إقتناء كتاب واحد على الأقل لأحد الأدباء من منهاج السنة الأولى المتوسطة، نعيمة، جبران، تقي الدين... إلخ. ولم نكتف بذلك بل شجعناهن على شراء مجلة «العربي»، وهي رخيصة الثمن نسبياً، حاوية

لمواضيع متنوّعة وراهنة ومليئة بالصور الجميلة والملوّنة الجذابة وغنية بالمعلومات.

ولا يقتصر هدفنا على تشجيع القراءة بشكل عام، بل إن نشاطنا هو ذو مردود تعليمي مباشر. فنحن قمنا بتجميع هذه الكتب والمجلات في مكتبة مصغرة في الصف وكنا نلجأ إلى النص الأصلي لدى ورود تعبيرات أدبية لكاتب معيّن في نص القراءة. فنقوم بتحليل العبارة في سياق النص العام الذي تكون بعض التلميذات قد قرأنه سابقاً، واستناداً إلى اقتراحاتهن، لتأخذ معناها الأشمل. فيصبح تحليلها الشكلي ذا دلالة واضحة. وقد قامت التلميذات بتبادل الكتب هذه فيما بينهن، بالطبع. وقامت كل واحدة منهن بقراءة معمقة لواحد منها، على الأقل، وفقاً لنموذج معيّن يقوم بتحليل شكل النص ومضمونه وتمّ نقاش وتصحيح ما فعلنه في الصف.

٢ ـ محاضرة حول مصطفى فروخ

انطلقنا من صورة للفنان مصطفى فروخ من كتاب القراءة العربية. ولما كنت على معرفة بابنه فقد دعوته ليلقي محاضرة لنا عن أعمال أبيه وعن حياته وأسلوبه الفني فيقدّم، بذلك، مدخلاً للتلميذات إلى تذوّق الفن التشكيلي. فرحّب بالفكرة، وجاءنا مزوّداً بصور عن لوحات الفنان وحاضر فينا في مركز المدرسة للمعلومات والتوثيق CDI (مركز لأنشطة عامة للمدرسة مهم جداً، هو الآخر، ويستأهل تحقيقاً مستقلاً). ونحن استفدنا من هذه المناسبة لتدريب التلميذات على الاستماع للمحاضِر. وتدوين الملاحظات، وصياغة الأسئلة التي نودّ أن نطرحها عليه... إلخ. هذا، ومع أن هدف المحاضرة الأساسي كان التعرف على فن مصطفى فروخ إلا أن أهدافنا الفرعية انصبت على التعوّد على الاستماع، الاستيعاب، الخ. أي تعريف التلميذات على تجربة «المحاضرة» والتفاعل مع المحاضر.

إن اعتماد محاضرين بدائل لأستاذ الصف يضفي حيوية على العملية التربوية. وأنا لمست المردود التعليمي المباشر لهذه الطريقة. إذ ترسخت المعلومات التي تلقتها التلميذات في هذه المحاضرة بطريقة ملفتة. ولعلّ ذلك ناجم عن كونها مرئية وليست مسموعة فقط. وقد قام المحاضر بتوزيع بطاقات على

التلميذات عليها رسوم الفنان فروخ.

٣ ـ معرض الخط العربي

لا بد من الإشارة ـ تتابع الأستاذة منيمنة ـ إلى أن ما نقرّره من أنشطة يرتبط، إلى حد كبير، بما هو متوافر في مجتمعنا منها (وهي ليست قليلة، بأي حال). فالنشاط الذي لا نملك له روافد أو منافذ لا يمكننا، بالطبع، تنفيذه. وقد كان معرض الخط العربي مناسبة لنشاطنا الثالث. صحيح أن الخط العربي ليس من ضمن منهاج اللغة العربية حالياً لكنه واحد من بنود المنهاج الجديد. وأنا وجدت أنه من المفيد أن تتعرف التلميذات، على كل حال، على هذا الفن. هذا هو بداية الأنشطة الخارج ـ مدرسية. ويترتب عليه، كما تعلمين، ترتيبات لوجستية تشتمل على حجز أتوكار (تتكفل المدرسة بالمصاريف) وطبع استمارات وتوزيعها على التلميذات هي بمثابة أذونات يملؤها الأهل وإعادة لّها منهن، وكلها أمور تتطلب وقتاً وجهداً ومتابعة.

لذا، لجأت إلى طريقة جديدة تخدم، إضافة إلى تخفيف عبء التدابير اللوجستية عن المدرسة، هدفاً مهماً وأساسياً هو إشراك الأهل في تحمل مسؤولية تعرّض أولادهم لاختبارات جديدة ضرورية، برأيي، للعملية التعليمية. ولا ننسى أن تلميذاتنا ينتمين، في الغالب، إلى شريحة اجتماعية واقتصادية أقل من متوسطة أو دنيا. هذه الشريحة ينبغي أن تستهدفها العملية التربوية. أي، أننا، نحن كتربويين، مسؤولون عن أهل تلميذاتنا وعن ثقافتهم. هكذا أفهم أنا دور المدرسة.

نعود إلى نشاطنا. قامت التلميذات، بداية، بدعوة أهاليهن إلى حضور المعرض. فوجهت كل واحدة منهن بطاقة دعوة قامت هي بتنفيذها من وحي المناسبة (وهذا درج اعتماده في كل الأنشطة الخارج ـ مدرسية اللاحقة) إذ وجّهت الطالبات بطاقات دعوة لأهاليهن متناسبة مع طبيعة المعرض، وفي الحالة الأولى جاءت البطاقات مزخرفة بالخط العربي كما تخيلنه. هكذا، رافق الأهالي بناتهن في موعد محدّد إلى مركز توفيق طبارة حيث أقيم المعرض. وتعرّفت التلميذات، وكذلك الأهل، على الطرق المختلفة للتعبير بالخط العربي. وكان تجاوبهن مع

المعروضات حيوياً، فتعرّفن على أسماء الفنانين وعلى أساليبهم المختلفة وتداولن جميعاً الكلمات التقنية وحاولن فك الرموز لقراءة التعابير. وهي شائعة وقريبة من مُعاشاتهم اليومية. عكذا تعرفن على أنواع الخطوط، وعلى الخط العربي كفن وأيضاً على مسوّغ اللجوء إلى هذا الفن لدى المسلمين.

وقامت التلميذات في اليوم التالي بتحليل نص حول الخط العربي وأجبن على أسئلة تستثير المعلومات التي اكتسبنها في هذا الموضوع.

٤ ـ الفنان عمر الأنسي ـ متحف سرسق

انطلاقاً من صورة لرسم الفنان عمر الأنسي من كتاب القراءة العربية والتعليق عليه ارتأينا أن نستفيد من مناسبة فريدة في المدينة هي معرض الفنان في متحف سرسق الذي استمر لأكثر من شهر.

قمنا بدعوة الأهالي بالطريقة عينها. وجاءت بطاقات الدعوة هذه المرة على شكل رسم انطباعي حر. ومرة ثانية، التقيت مع التلميذات وأهاليهن في متحف سرسق في موعد محدّد.

وقد استفدنا من المناسبة فقمنا بتعريف الطالبات على المتحف نفسه، على طرازه المعماري، تاريخه، ووسيلة انتقال ملكيته من نقولا سرسق إلى الدولة اللبنانية وذلك بالاستناد إلى بروشورات حصلنا عليها من المتحف نفسه.

سؤال: كيف استجابت التلميذات لفن الأنسي؟

جواب: نسبة استجابتهن لكل ما نفعله ولكل معرض نزوره: الاستهجان المستمر. فهذه اختبارات جديدة بالكامل على اختباراتهن واختبارات أهلهن. وكان انبهارهن بالأنسي، بالألوان والأشكال والموضوعات مؤثّراً. وهن تواصلن معه عبر الموضوعات، بشكل خاص، لبعض التآلف معها: بيوت بيروت، الصبار، طقم الكنابايات المغطّى بالشرشف، المزهرية... إلخ.

ومن الطريف أن التلميذات وقفن مطوّلاً أمام مزخرفات الخط العربي التي تزين مقاعد وبعض حيطان المتحف محاوللات المقارنة مع ما شاهدنه سابقاً في معرض الخط العربي.

٥ ـ اليوم العالمي لتشجيع المطالعة: ٢٢ نيسان

ارتأينا أن نزور، في هذا اليوم، معرض بيروت الدائم للكتاب. فهو قريب من المدرسة في شارع السادات، فضلاً عما لمسنا من الموظفين والموظفات هناك من استعداد لاستقبال التلميذات وتعريفهن على دور النشر وعلى استعمال الكومبيوتر في البحث عن الكتاب وأيضاً الانترنت.

وكما عادتنا، قامت التلميذات بتوجيه دعوات إلى أهاليهن. وقمنا بمحاولة ثانية للتأكيد على ما بدأنا به هذا العام من حث التلميذات على اقتناء الكتب، وذلك سعياً إلى جعلهن يكتسبن هذه العادة التي لا يملكنها. ونحن ننطلق من مبدأ مفاده أن هؤلاء التلميذات يحصلن على بعض المال لشراء «الشيبس» والشوكولا والمشروبات الغازية فلماذا لا ينفقون بعض مالهم على ما هو أهم: الكتاب؟ وقد لمسن أنه بإمكانهن أن يشترين كتباً لا تتعدى أسعارها أحياناً الألف ليرة!

من الضروري تسجيل أنه يوم موعدنا المضروب للذهاب إلى المعرض مرضت ولازمت البيت. فلم أتمكن من مرافقتهن أو أهلهن إلى المعرض. ولعلّ هذه «الضارة» كانت «نافعة»، وذات مردود تربوي مباشر للأهل. وأرجو أن يكونوا قد لمسوا أنه بإمكانهم مرافقة أولادهم إلى معارض أو أنشطة لوحدهم ودون وصايتي أنا أو وصاية المدرسة!

٦ ـ معرض لفن تشكيلي معاصر

اخترنا معرض الفنانة التشكيلية إيمان قعبور التي تبرعت بالتعريف عن الفن المعاصر وأجابت على أسئلة التلميذات وأهاليهن (بدأنا في هذه المرحلة نلمس مشاركة الأهالي الفعلية في النقاش والأسئلة) وتعرفت التلميذات على المواد المستعملة في الفن التشكيلي وصارت مفردات الغواش والباستيل والزيت وغيرها من مفرداتهن اللغوية.. والجدير ذكره، في هذا المجال، أن التلميذات صرن يبدين حساسية للعالم حولهن ويعبّرن عنها. فما عادت صورة ما أو مثال ما في جريدة عن الأنسي، مثلاً، تمر مرور الكرام. صرن يقصصن الجرائد ويجلبن القصاصات إلى الصف.

٧ ـ معرض الفنانين المصريين بمناسبة مرور مائة عام على الفن التشكيلي المعاصر

ارتأينا أن تتعرّف التلميذات على فن غير لبناني للمقارنة. وكان هدفنا الجانبي هو أيضاً تعريفهن على حرم جامعي (الجامعة العربية) عندنا حيث أن أكثرهن لم يكن قد زرن حرماً جامعياً من قبل.

هنا تعرّفت التلميذات على فنون جديدة كالمكعبات النافرة، والكولاج، واستعمال مواد عادية ويومية في الفن التشكيلي الحديث.

وتجلّت في هذا المعرض بالذات ظاهرة باعثة على السرور، هي مبادرة الأهل إلى المشاركة في النقاش أو أحياناً القيام بالشرح والتفسير وإبداء الآراء والتقييم. ونحن قمنا في نهاية السنة بتكريم أهالي خمس تلميذات داوموا على حضور الأنشطة كلها، فقدمنا لهم هدايا صغيرة تقديراً منا على تجاوبهم معنا.

سؤال: كيف انعكست هذه النشاطات على التلميذات فيما يهمك أنت كأستاذة في اللغة العربية.

جواب: لعلك لاحظت في المعرض الذي زرت لمجمل أنشطة التلميذات، ولدى تعريف التلميذات على أنشطتهن، طلاقة التعبير لدى التلميذات وغنى ثروتهن اللغوية بالمفردات المتعلّقة بالأنشطة. وذلك فضلاً عما لمسته أنا شخصياً في تطور لغتهن عبر تفاعلي اليومي معهن في الصف وعبر المسابقات التي تقيّم أداءهن التعليمي.

سؤال: كيف ستطورين عملك مع التلميذات في السنة القادمة؟

جواب: أتمنى أن أعمل السنة القادمة على موضوع الموسيقى. لكن ذلك يعتمد على المعطيات. وسيكون لتجاوب الأهل والطالبات أنفسهن دور رئيسي. ولا ننسى أن الحفلات الموسيقية، مثلاً، تقام ليلاً. فهل أن الأهل مستعدون لاصطحاب بناتهن ليلاً إلى الحفلات الموسيقية؟ هذا سؤال رئيسي: هل ستعجبهم الموسيقى التي أفترض أنا أنها جيدة وينبغي التعرف عليها؟ الخ. سأحاول وأرى.

سؤال: ما هي دوافعك للقيام بهذه الأنشطة، ما هو موقف زملائك وزميلاتك الأساتذة؟

جواب: زملائي يعتقدون أن ما أفعله هو ناجم عن حماسي أو موهبتي أو رغباتي الخاصة. لكن ما أجده أنا أنه ناتج تلقائي لانخراطي في العمل التربوي ومن تفاعلي مع تلميذاتي. ولا أنكر أنني راغبة في العمل على مهنتي وعلى تطويرها. وأن ذلك يتم بتوظيف مهاراتي واهتماماتي، لكن ذلك يصب، أيضاً، في تطوير المهنة نفسها وفي تطوير التعليم الرسمي وتحسينه الذي هو هدف صريح لي.

سؤال: هل تجدين أن موقفك من مهنتك هو موقف سائد.

جواب: لا أجده سائداً. مع أنني أعتبره ضرورياً. في الواقع، أنا أعمل بلذة ولا أشعر بتعب في عملي، ربما بسبب ذلك.

سؤال: ما هي أصول موقفك غير السائد؟ هل تأثرت بأحد؟

جواب: ما شجعني، في الواقع، هو ما اكتسبته بعد عودتي إلى كلية التربية بعد ١٥ سنة من الانقطاع عن الدراسة كنت مشغولة فيها بأدواري النسائية: الزواج والبيت والأولاد. السنتان اللتان قضيتهما في الكلية فتحتا أمامي آفاقاً واسعة، وساهمتا في تحسين أدائي التعليمي إلى حد بعيد وفي بلورة رؤيتي للعملية التربوية. وأنا أدين بذلك لأساتذتي الذين أود أن أوجّه لهم تحية عبر هذه المقابلة: عدنان الأمين ويوسف فران وزينات بيطار وغيرهم.

سؤال: ما هو موقف الإدارة من الأنشطة التي تقومين بها؟

جواب: من مديرة الثانوية المتابعة والتشجيع، بالطبع.

*

بعد مقابلتي سلمى منيمنة، الأستاذة في التعليم الرسمي التي تعمل استجابة «للعملية التربوية» والتي لا تطمح في عملها إلى أكثر من «تطوير مهنتها» وهي غير غافلة عن أن ذلك لن ينعكس على «رتبتها» أو «راتبها»، والتي سرى خطابها دون كلمة واحدة تمنّن فيها أحداً بأنها «تقدّم خدمات جليلة للوطن والمواطن»... أفهم على أكتاف من تقوم وتقاوم مجتمعات تتعرّض يومياً لأصناف العنف على مؤسساتها العامة.

«الفن والوهم.الوهم والفن»

هل أنت حقاً هنا أم الأمر مجرد فن؟
هل أنا حقاً هنا أم الأمر مجرد فن؟

لوري أندرسن

DAR AL SAQI
26 Westbourne Grove, London W2 5RH
شارع منيمنة، الحمراء، ص.ب:٢ ٥٣٤/١١٣ بيروت

ISSN: 1354-3857